قصيدة الأعمال والأيام لهسيودوس

بقلم
الدكتور محمد سليم سالم
أستاذ الدراسات القديمة بكلية الاداب بجامعة عين شمس

هو ثانى شعراء الإغريق ، يأتى فى المرتبة مباشرة بعد هوميروس ، ويعد أول من هلهل الشعر التعليمى فى بلاد اليونان . ولد ، كما تقول الأساطير ، فى كومى Kume من أعمال أيوليس Aeolis وهاجر مع أبيه إلى أسكرا Askra ، وهى بلدة صغيرة فى بويوتيا Boiotio فى سفح جبل هيليكون Helikon فى منطقة مقدسة لربات الفن . وعاش هناك هسيودوس Hesiodos يرعى الغنم حتى ظهرت له إلهات الشعر فحببنه النظم وأجرين الدر على لسانه ، وأصبح منشدهن الصادق . فشعره تعليمى هدفه النفع فلا يكون إلا صدقاً ، أما الشعر الحماسى فهدفه اللذة ، ولذا يمكن أن يحوى أساطير يضفى عليها الشاعر صفة الاحتمال فحسب . ونجد هنا أول مقارنة بين أشعار هسيودوس وأشعار هوميروس ، وأول إشارة إلى مشكلة الشعر والكذب :

كان لهسيودوس ، على حد قوله ، أخ اسمه بيرسيس ؛ دب النزاع بين الأخوين بعد موت أبيهما ، فبغى بيرسيس على أخيه وظلمه حقه ورشا القضاة من الأمراء ، فحكموا له . ولهذا حنق هسيود المظلوم على هذا العالم المملوء بالظلم والعسف ، وتضيف الأقاصيص أن بيرسيس أسرف وبدد أمواله ولجأ إلى أخيه هسيودوس يطلب صدقة ، فلم يقدم له هسيودوس غير النصيحة . وتتلخص نصائحه فى : اعمل وكن عادلا .

مات هسيودوس ، على ما تذكر الأقاصيص ، مقتولا ، جندله الهيام بفتاة أحبها وولد له منها الشاعر الغنائى ستيسيخوروس Stesichoros ولكن أخوة الفتاة حقدوا عليه ، وقتلوه وألقوا بجثته فى اليم ، فحملته الدولفين إلى الشاطىء ودفن فى بلدة أوينوى Oenoe فى قبر يليق به .

هذا كل ما نعرف عن حياة هسيودوس وهى كما ترى مليئة بالخرافات التى لا تستحق عناء المناقشة . فلسنا ندرى إن كان هسيودوس قد ولد فى كومى أم فى أسكرا ، وهل كان له شقيق اسمه بيرسيس ، أو أن هذا اسم وهمى ابتدعه الشاعر ليوجه إليه نصائحه . ثم إن من المحال أن يكون ستيسيخوروس ابناً لهسيودوس : فذاك الشاعر الغنائى ينسب إلى هيميرا Himera فى جزيرة صقلية ، وقد ذاع صيته واشتهر بتلك القصيدة التى ألفهـا لينفى فيهـا (polinode) ما نظم فى قصيدة أخرى عن هيلانه وفرارها مع باريس

(الاسكندر بن بريام) إلى طروادة . وفى القصيدة الجديدة التى تبدأ بالبيت المشهور :

لم يكن صدقاً ذلك القول .

قص ستيسيخوروس قصة ذهاب شبح هيلانه إلى طروادة ، وذهاب هيلانه نفسها إلى مصر . وهذه هى القصة التى سار فى إثرها يوربيديس فى مسرحيته ، هيلانة .

وليس من المعقول أن يكون هسيودوس قد وقع فى غرام فتاة فى شيخوخته وهو الذى ينصح الشباب ويحذرهم من السير فى طريق معوج .

كان لهسيودوس أتباع ومدرسة تشيعت له وفضلته على هوميروس أكبر شعراء العالم واختلفت قصة المباراة الشعرية التى اشترك فيها الشاعران فى ذلك الحفل الذى أقيم لتأبين أمفيداماس ملك يوبيا . وكانت الغلبة ، فى روايتهم ، لهسيودوس . وهذه القصة لا تثبت إلا شيئاً واحداً هو وجود تنافس بين منشدى أشعار هوميروس ومنشدى أشعار هسيود ، وهم يختلفون فيما بينهم فى وجهتى نظرهم إلى الشعر وموضوعاته وأهدافه .

نظم هسيودوس فى الوزن السداسى الذى استخدمه هوميروس ، وربما لم يكن يعرف غيره ، وقد استخدم اللهجة الإيبكية التى استعملها شعراء الملاحم . ولم يترك هسيودوس أثراً فى شعره يدل على أنه حل فى بويوتيا Boiotia : ولكنه ترك آثاراً ضئيلة ترجح أنه من أصل أيولى إذ استخدم ألفاظاً أيولية لم ترد فى غيره .

نظم هسيودوس قصيدة الأعمال والأيام ، ومن المرجح لذلك أنه وضع قصيدة أصل الآلهة Theogonia وتنسب إليه قصيدة المثيلات أو قائمة النساء . كما تنسب إليه قصيدة عن ترس هرقل .

وقد شاع فى العصر القديم أن هسيودوس لم يترك إلا قصيدة واحدة هى الأعمال . وهذا الرأى ينفى نسبة الجزء الأخير من هذه القصيدة إلى هسيودوس وهو الذى يعطى قائمة بالأيام السعيدة والأيام المشئومة كما أنه يعتبر قصيدة أصل الآلهة منحولة . ولكن أسلوب هذه القصيدة الأخيرة يشبه دون ريب أسلوب قصيدة الأعمال . وقد جاء فى أول هذه القصيدة ذكر لربات الفن وأنهن علمن هسيودوس . وقد اتخذ بعض العلماء هذه الجملة دليلا على أن الشاعر الذى نظمها ليس هو هسيودوس ولكنه يعرف قصة إلهام ربات الفن لهسيودوس وقد رد البعض أن الشاعر هو هسيودوس نفسه وأنه أراد أن يسجل اسمه فى أول القصيدة على هذا النحو . ويكاد يكون هناك اجماع فى العالم القديم على نسبة هذه القصيدة عن أصل الآلهة إلى هسيودوس . ويمكن تلخيص ما احتوت عليه قصيدة أصل الآلهة على النحو التالى :

١ ــ ٣٥ :

مقدمة فى مناجاة ربات الفن ومقابلة الشاعر لهن وقولهن له إننا نعرف كيف نقص خرافات كثيرة وكأنها الحق كما نعرف ، إن أردنا ، أن نقول الصدق .

وفى هذا إعلان لمنهاج الشعر وإشارة إلى أن هسيودوس يمثل مدرسة لن تهتم بقصص خرافية تحكى عن الماضى السحيق كالإلياذة والأوديسية ، وإنما ستعنى بالحقائق الدينية والأخلاقية والعلمية . ويمكن أن نلاحظ أن قول هسيودوس على لسان ربات الشعر : نحن نعرف كيف نقص أكاذيب كثيرة مشابهة للحقيقة يكاد يكون مأخوذاً بنصه وحرفه من الكتاب التاسع عشر من الأوديسية .

ثم منحت ربات الشعر هسيودوس غصناً من النار ونفثن فى فؤاده أغانى عجيبة .

٣٦ ــ ١١٥ :

مقدمة أخرى : لنبدأ بالهات الفن ، بنات زوس والذاكرة Mnemosune اللائى يغنين عن كل شىء فى السماء والأرض .

١١٦ — ١٥٣ :

بدء الخليقة من الفوضى Chaos وزواج السماء والأرض ومن ولد لهما من أبناء .

١٥٤ — ٤١٠ :

ثورة أبناء السماء والأرض الذين يسمون بالتيتان Titans فى وجه أبيهم (السماء) وتقطيع أعضائه .

٤١٠ — ٤٥٢ :

ترنيمة فى مدح هيكاتى ابنة التيتان كويوس Koios وزوجة فويبى Phoibe . زوس يبجلها أعظم تبجيل : وهى تمنح المال والنصر لمن تريد .

٤٥٣ — ٥٠٦ :

أبنـــاء كروتوس وريا Rhea وثورة زوس أصغر أبنائهما على أبيه وإقصاؤه من الحكم .

٥٠٧ — ٦١٦ :

ولادة بروميثوس بن التيتان يابيتوس Iapetos وضراع بروميثوس لزوس فى تقسيم الضحايا بين الآلهة والناس ، فقد أعطى بروميثوس لزوس الشحم والعظم وأعطى ابن آدم ما تبقى . وقد سار الناس بعد ذلك على هذا المنوال فى تقسيمهم الضحايا بين البشر والآلهة . ثم أعقب ذلك سرقة بروميثوس النار من زوس وإعطاؤها للناس . غضب زوس وإرساله باندورا ، جدة النساء ، إلى الأرض . فالمرأة شر لا بد منه . إن ابتعد عنها المرء لم يجد من يرعاه فى شيخوخته . وإن اقترب منها ، فهى شر مستطير . زوس ينزل العقوبة ببروميثوس .

٦١٧ — ٨١٩ :

النضال بين أبناء كرونوس والتيتان وانتصار أبناء كرونوس .

٨٢٠ — ٨٨٠ :

بعد أن طرد زوس التيتان من السماء ، ولدت الأرض أصغر أبنائها توفويوس Typhoeus . وقد أهلكه زوس بشهاب ثاقب .

٨٨١ — ٩٥٥ :

وبعد هزيمة جميع أعداء الآلهة ، نصحت الأرض لهم باختيار زوس ملكاً عليهم . وتزوج زوس أولا ميتيس Metis أرجح الآلهة عقلا . ولما كانت على وشك أن تلد الآلهة أثينا وضعها زوس فى بطنه متبعاً نصيحة قدمتها له الأرض والسماء . ثم تزوج زوس ثيميس Themis فولدت له السلام والنظام والعدل .

ويستمر هسيودوس فى ذكر جميع زوجات زوس ومن ولد لهن من أبناء وبنات .

٩٠٦ — ١٠٣٢ :

أبناء الشمس من البشر وأبناء الآلهات من آباء من البشر . وتنتهى قصيدة أصل الآلهة أو أنساب الآلهة ببيتين يناجى فيهما الشاعر ربات الفن ، بنات زوس ، الذى يمسك بالترس ، طالباً إليهن أن ينشدنه عن جماعة النساء . وهذان البيتان يربطان بين قصيدة المثيلات Eoiai وبين قصيدة أصل الآلهة ، ولكنهما لا يثبتان أنهما لشاعر واحد .

وتعتبر قصيدة أصل الآلهة أقدم ما كتب بطريقة منهجية عن عقائد اليونان وأساطيرها الدينية . وأهميتها من الناحية الدينية لا يمكن أن يبالغ أحد فيها ، ولكنها كشعر قليلة الجاذبية لكثرة ما بها من أسماء لا تثير اهتماماً ولهذا لا يرتفع فيها أسلوب هسيودوس إلا نادراً جداً . غير أن جمال الأسلوب لم يكن قط من أهداف هسيودوس ، فهو يتوق إلى أن يعلم ويهذب وأن يخرج الناس من ظلمات الجهالة الدينية إلى نور الحقيقة . فهو أشبه بنبى أو متشرع أراد تقنين دين قومه . وقد اشتهرت مدرسة هسيودوس بذلك الشعر الذى يشبه القوائم . ولهذا أخرج أرسطو الشعر التعليمى كله من حظيرة الشعر .

ولكن إلى أى حد غير الشاعر فى الأساطير القديمة ؟ لسنا ندرى، فقصيدة أصل الآلهة هى أقدم ما وصل إلينا عن دين الإغريق ، عدا ما ورد عرضاً فى أشعار هوميروس ، ولكنا نعرف أن هسيودوس جعل من إيروس Eros (الحب) وهو أحد آلهة بلدة ثيسبياى Thespiai من أعمال بويوتيا Boiotia ابناً أنجبته الفوضى Chaos دون أب . كما أدخل فى صفوف الكائنات المقدسة أفكاراً معنوية كالشقاق وأبنائه من الكد والنسيان والألم ، بل لقد ذهب « أن الشائعات التى لا يعرف مصدرها شىء إلهى على نحو ما » .

ومن القصائد المنسوبة إلى هسيودوس باجماع العالم القديم قصيدة المثيلات أو بالأحرى قائمة النساء . وقد أطلق عليها هذا الاسم لأن كل جزء منها يبدأ بالكلمتين : أو مثل ، ثم يستمر الشاعر فى سرد مغامرات البطلة أو أبنائها . وقد ضاع الجزء الأكبر من هذه القصيدة التى قيل إنها كانت تملأ خمسة كتب . وقد وجدت فى بردية ستراسبورج ، رقم ٥٥ ، التى ترجع إلى القرن الثانى قبل الميلاد ، قطعة جميلة من هذه القصيدة تزجى الثناء إلى بيلوس ، زوج ثيتيس Thetis ، ووالد أخيل ، بطل الإلياذة :

جاء بيلوس بن أباكوس ، حبيب الآلهة الخالدين .
إلى فثيا ، أم القطعان ، ومعه أموال طائلة ،
من يولكوس الشاسعة . وقد دب الحسد إلى
قلوب الناس أجمعين عندما رأوا .
كيف استولى على مدينة حصينة وكيف أتم
زواجه البهيج . ونطق جمعهم بهذه الكلمة :
ما أسعدك وأسعد بك ، يا ابن أياكوس ،
لا مرة واحدة بل ثلاث مرات أو أربع !
لأن زوس الأوليمبى ذا النظر البعيد قد منحك
زوجاً جلبت معها هدايا كثيرة . وقد أنفذ الآلهة
الأخيار زواجك . وفى هذه الأبهاء تذهب
إلى المخدع المقدس لإحدى بنات نيروس . حقاً
إن الأب ، ابن كرونوس ، قد أعلى من مقامك
بين الأبطال ، وزاد فى إكرامك فوق جميع الناس
الذين يأكلون مما تنبت الأرض .

* * *

أما قصيدة الأعمال والأيام فهى أول ما نظم هسيودوس وهى أهم ما ترك وهى تحوى على الرغم مما أضيف إليها أساساً صحيحاً غير منحول . وتحتوى هذه القصيدة على نصائح أخلاقية ومعارف زراعية وقائمة بالأيام السعيدة والمشئومة . وهى ترجع إلى القرن الثامن قبل الميلاد على الأقل ولا يمكن أن تكون قد كتبت فى القرن السابع لأن أرخيلوخوس Archilochos الذى عاش فى القرن السابع يذكر هسيودوس .

ويمكن تلخيص قصيدة الأعمال والأيام على النهج التالى :

١ — ١٠ :

ابتهال إلى ربات الفن أن ينشدن مديح زوس ، وتوسل إلى زوس أن يستمع إلى الشاعر وأن يمنحه الإنصاف ، وإعلام لأخيه بأنه سيحدثه حديثاً صادقاً .

١٠ — ٤١ :

أى برسيس ، هناك نوعان من النزاع ، لا نوع واحد : هناك نزاع محمود يحفز المرء إلى الكد والعمل ومنافسة قرنائه ، وهناك نزاع كريه يدفع إلى الحرب وإلى الدمار .

ابتعد عن دور القضاء وتذكر ما اغتصبت منى وما قدمت من رشوة إلى ملوكنا الذين لا يحكمون بين الناس بالعدل . وهم لجهلهم لا يعرفون أن النصف أكبر من الكل ، ولا يدركون الفوائد التى توجد فى طعام الفقير .

٤٢ ـ ١٠٥ :

لقد أخفى الآلهة عن الناس ما يقيم أودهم ، وإلا لجمع المرء فى يوم واحد ما يكفيه سنة كاملة . ولكن زوس أسر الغضب على بروميثوس الذى خدعه ، ولذلك أرسل على البشر الآلام والأحزان .

كان زوس قد أخفى النار عن الناس ، ولكن بروميثوس تمكن من سرقتها . ولما أحس زوس بذلك ، خاطب بروميثوس قائلا :

يا ابن پاپيتاس ، يا أمكر الجميع ، أنك ولا ريب
مسرور لأنك تمكنت من خديعتى وسرقة النار
ـ ولكنها ستكون وبالا عليك نفسك وعلى البشر .
وسأرسل إلى البشر عوضاً عن النار بلاء يشرح صدورهم
وهم يضمون شراً إلى هذه الصدور .

ثم أمر زوس أن يصنع هيفايستوس إله النار امرأة ، وطلب من كل إله إن يمنحها ملكة من لدنه ، وأرسلها إلى إپيميثوس Epimetheus ، أخى بروميثوس فتقبلها . وفتحت باندورا إناء أحضرته معها فخرج منه جميع الشرور التى انتشرت فى العالم ولكنها أعادت الغطاء قبل أن يخرج الأمل :

فالأرض مليئة بالشر وكذا البحر
والأمراض لا تفتأ تفتك بالناس
ليلا ونهاراً وفى صمت ، لأن زوس ،
بحكمته ، انتزع منها القدرة على الكلام . و
لهذا فلا سبيل إلى الفرار من إرادة زوس .

١٠٦ ـ ٢٠١ :

لقد مر على هذا العالم خمسة أعصر . أولها عصر الذهب ، و كان الناس يعيشون فيه بلا كد أو ألم ، لا تدركهم الشيخوخة ويأتيهم الموت كالنعاس . فلما قضوا نحبهم ، جعل منهم زوس أرواحاً خيرة تجوب الآفاق وتحافظ على البشر وتمنحهم الثراء . ثم تلاه العصر الفضى . وكان الناس فيه لا يعرفون التقوى أو العدالة . فأهلكهم زوس . ولكنه جعل منهم أرواحاً تسكن باطن الأرض ويقدم لها التكريم وتحظى بالإجلال . أما العصر الثالث فقد كان عصر البرونز ، وهو عصر نزاع وشقاق ، أهلك الناس فيه بعضهم بعضاً بأسلحتهم البرنزية . فلم يكونوا يعرفون الحديد وبعد أن غطتهم الأرض ، خلق زوس عصر الأبطال وأنصاف الآلهة . وقد هلك منهم خلق كثير وهم يقاتلون فى حرب طيبة من أجل قطعان أو ديب ، وفى حرب طروادة . وبعد موتهم ذهبوا إلى جزائر الأخيار فى أقصى العالم . ونحن الآن فى العصر الخامس ، عصر الحديد ، وكل شيء فيه سيء وسيصير إلى أسوأ :

ليتنى مت قبل هذا أو لم أولد بعد !

فلن يسود وئام بين أب وأبنائه ، ولا بين الأبناء وأبيهم ، ولا بين الضيف ومضيفه ، ولا بين الرفيق ورفيقه ، ولن يكون هناك أخ عزيزاً عند أخيه ، كما كان آنفاً . وإذا بلغ الكبر أحد عند ابيه ، نهره الابن ووبخه بألفاظ قاسية ، ناسياً ما أنفق والده من جهد ومال فى تربيته وإطعامه . ولن يعترف أحد بفضل لن يبر بمينه ، ولا للرجل العادل أو الطيب . وسيمتدح الناس الشرير وأفعاله . وسيهجر الحياء هذا العالم . ولن يبقى للبشر غير الأحزان المروعة .

٢٠٢ ـ ٢١٢ :

وسأقص على أمرائنا قصة الصقر والعندليب :

انقض صقر يوماً على عندليب وأنشب فيه مخالبه وارتفع به إلى الطبقات العليا من الجو ، والعندليب يصرخ من شدة الألم . وعندئذ التفت الصقر إليه وخاطبه بازدراء قائلا : أيها الجاهل ، لم العويل ؟ إنك فى قبضة من هو أقوى منك . سآخذك إلى حيث أريد ، رغم أنك طائر صداح . سآكلك إن رغبت ، وإن شئت تركتك .

إن من الجنون محاربة من هو أقوى منك ، إذ ينالك عندئذ عاران : ألم الهزيمة وعار الاندحار .

٢١٣ — ٢٤٧ :

أى برسيس ، اتبع العدل ، واهجر التعدى . فالتقوى شر وبيل على الرجل الفقير . أما الغنى فلن يستطيع فى النهاية احتمال عاقبته . فالسماء تبعث الرخاء إلى الأخيار ، أما الظالمون فلهم ولمدنهم الخراب والدمار . فالعدالة تحرز السبق فى النهاية . والقسم يسير بازاء الحكم الظالم . فاذا حكم القضاة بالعدل على القريب والقريب ، عم الرخاء وانتشر السلام فى البلاد وأبعد عنها زوس الحروب والمجاعات وفاضت الأرض بالخيرات وأعطت أشجار البلوط على سنوح الجبال ثمارها غذاء للحيوان . وقد ينزل زوس العذاب ببلدة كاملة من أجل فرد واحد .

٢٤٨ — ٢٧٤ :

أيها الأمراء ، الحـــذر ، الحـــذر ! فالآلهة ترى جميع من يظلم البشر ويحكم بغير الحق ولا يخشى الآلهة . ولزوس ألوف من الأرواح ترصد أعمال الناس فى أطراف المعمورة . والعدالة ابنة زوس تشكو إلى أبيها قلوب البشر العاتية ، حتى يدفع الأهلون ثمن ما ارتكب أمراؤهم من آثام .

إن من يرتكب إثماً ضد إنسان ما يرتكب إثماً ضد نفسه .

والرأى السيء يحيق بصاحبه أكثر من غيره .

وغريب حقاً أن نجد مثل هذا الرأى فى قصيدة ترجع إلى القرن التاسع قبل الميلاد . وقد يمكن القول إن هسيودوس يبنى رأيه هذا عن العدالة الآلهية التى تمحق الظالم ، مصداقاً لقول الشاعر العربى :

والبغى يصرع أهله والظلم مرتعه وخيم

أما نظرية سقراط فى القول بعدم الاعتداء وعدم رد الاعتداء — أفرد الاعتداء عنده اعتداء — فأساسها أن الفرد الذى يلحق المعتدى أشد وبالا من الفرد الذى يلحق المعتدى عليه . كما أن من المسلم به عند سقراط وأصحابه أن من المحال أن يستطيع شرير أن يؤذى أحداً من الأخيار . وعندما ظهر هذا الرأى عند المسيحيين انطوى طبعاً تحت فضيلتى الحلم والتواضع .

٢٧٥ — ٢٨٥ :

أى برسيس ، اتبع العدالة ولا تفكر فى العنف ، فقد فضل زوس البشر على السمك والحيوان والطيور بالعدالة . وزوس هو الذى يثيب من يتبع العدل ومن هو على استعداد لقول الحق . أما من يشهدون الزور فى أيمانهم فإثمهم كبير وسيلقى بابنائهم وأحفادهم وسلالتهم فى زوايا الخمول .

٢٨٦ — ٣٨٠ :

أى برسيس ، أيها الجاهل ، سأقول لك قولا رشيداً : إن الشر يسير قريب منا والطريق إليه سهل ، ولكن الآلهة أقاموا بيننا وبين الفضيلة سداً من عرق الجبين ، والطريق إليها وعر منحدر . فاذا بلغ المرء القمة وجدها قريبة المنال .

إن شر الناس من لا يستمع إلى نصيحة غيره أو يدبر أموره بنفسه . ولكن تذكر ، يا برسيس ، يا سليل الآلهة ، نصيحتى واعمل فاذا عملت كرهك الجوع وأحبتك ديميتير وملأت دارك بالطعام . فالجوع رفيق البطالة . والبطالة بغيضة إلى الآلهة والناس . فالعمل شرف . والبطالة عار . والبطال ، كذكر النحل يأكل ولا يعمل . والعمل مصدر الثراء . والثراء أساس المجد والشهرة . ومهما كان حظك فى الحياة ، فعليك بالعمل ، فهو أفضل لك . إن الحياء العاذب رفيق الفقر والحياء منه الضار ومنه النافع . فالحياء العاذب رفيق العوز ، والثقة بالنفس تلازم الغنى . ولكن ينبغى ألا يغتصب الثراء . فكل مال أخذ عنوة أو خداعاً فالى زوال . إن زوس حقاً يغضب على من يؤذى الضيف

والمستجير ، ومن يتسلل إلى فراش أخيه ليرتكب جريمة بشعة مع زوجه ، ومن يقترف ذنباً دون مبرر ضد اليتامى ، ومن يعتدى على أبيه الذى أدركته الشيخوخة ويسبه بألفاظ قاسية . ابتعد عن هذه الأشياء ، وبقدر استطاعتك ، قدم الضحايا للآلهة فى نظافة وطهارة ، وأحرق لهم لحماً جيداً ، وفى أوقات أخرى احرق لهم البخور وصب لهم القرابين فى الصباح والمساء لترضى الآلهة عنك وحتى تشترى حقل غيرك ، ولا يشترى غيرك حقلك .

ادع صديقك إلى الوليمة ، ودع عدوك وشأنه ، وخص بالدعوة جارك . فان حدث شىء فان جارك يوافيك قبل أن يلبس حزامه ، أما أصهارك الذين يقيمون بعيداً عنك فلن يفعلوا ذلك . جار السوء شر مستطير ، كما أن الجار الطيب نعمة كبرى . ولن ينفق لك ثور إلا إذا كان جارك شريراً . استوف الكيل إذا كال عليك جارك ، ووفه إن كلت له أو زده . فان احتجت إليه ثانية وجدته وفياً .

إياك والكسب الدنىء . فالكسب الدنىء هو الدمار صادق من يصادقك وزر من يزورك . وأعط من يعطى ، ولا تعط من لا يعطى . فالمرء يعطى الكريم ويمنع البخيل . والإعطاء حسن والأخذ ردىء . ومن يعطى راضياً ، ولو أعطى الكثير ، ينشرح صدره ويسر فؤاده . أما من ينفق فى اللهو ويأخذ لنفسه ولو شيئاً يسيراً فان قلبه يتجمد . وكل من يضيف إلى ماله يدفع عن نفسه غائلة الجوع : فلو أضفت القليل إلى القليل ، وفعلت ذلك مراراً ، لأصبح ذلك القليل كثيراً .

لن يضرك ما وجد بدارك . والأفضل أن تحتفظ بمالك فى بيتك . فكل ما كان خارج الدار قد يؤول إلى ضياع . ومن الحسن أن يجد المرء ما يريد . ومن المحزن أن يطلب المرء شيئاً فلا يجده .

اشرب حتى ترتوى من النبيذ عندفتح الجرار ، وعندما تقترب من النهاية ، واقتصد فيما بين ذلك . فليس من الاقتصاد ادخار الثمالة .

ليكن الأجر الذى تعد صديقك ممدوداً . واطلب بابتسامة شاهداً حتى من أخيك . فالثقة وعدم الثقة كلاهما يجران إلى الخراب .

لا تدع امرأة أنيقة تداهنك وتخادعك ، فهى ترنو إلى جرنك ومن يركن إلى النساء ، يثق فى مخادعات .

وليكن لك ولد وحيد ميول أهل بيتك . وبهذا تزداد ثروتك . ولكن إن كان لك ابن ثان ، فالأفضل أن تعمر طويلا . ومع ذلك فقد يمنح زوس مالا وفيراً لعدو كبير . وكثرة الأيدى العاملة تنمى الثروة .

٣٨١ — ٧٦٤ :

فان تاق قلبك إلى الغنى ، فاعمل على النهج التالى ، وأضف عملا إلى عمل :

ابدأ حصادك عند طلوع الثريا ، واحرث عند غيابها . وشمر عن ساعد الجد إذا بذرت أو حرثت أو حصدت . فربما اتفق لك فيما بعد أن تقع فى الفاقة وأن تذهب إلى دور الناس تسألهم الصدقة دون جدوى ، كما جئت فيما مضى إلى . ولكنى لن أعطيك شيئاً بعد ذلك ، ولكن أكيل لك . أيها الجاهل ، أى برسيس ، اعمل ، فالكد فرض على الناس كافة ، لئلا تبحث ، والألم المرير يملأ قلبك أنت وزوجك وأطفالك عن معاشك بين جيرانك وهم لا يعيرونك التفاتاً . قد تنجح مرتين أو ثلاثاً . ولكن إن أصبحت متعباً ، فلن تحظى بشىء ، وسيذهب حديثك وتلاعبك بالألفاظ سدى .

اقتن داراً وامرأة وثوراً للحرث . ولتكن المرأة أمة لا زوجة ، حتى تسير وراء الثيران أيضاً . وجهز كل شىء فى دارك لئلا تطلب من أحد فيمنعك ، فيضيع وقتك وجهدك هباء لا تؤجل عمل اليوم إلى غد

أو بعد غد . فالجد والاجتهاد يجعلان العمل يسير سيراً حسناً . أما من يؤجل عمله ، فهو دائماً فى نضال مع الدمار .

اقطع ما تريد من أخشاب بعد منتصف الصيف . فهذه الأخشاب تستطيع مقاومة السوس . واصنع منها ما تريد من أدوات .

ويضيف بعد ذلك هسيودوس وصفاً للفصول المختلفة ويعطى نصائح تناسب كل فصل منها .

ثم يفيض فى وصف وليمة صغيرة فى حر الصيف مستظلا بصخرة يتفجر بالقرب منها ينبوع ويهب عليها نسيم عليل . هنالك يحلو الشراب ويستطاب أكل لحم البقر والمعز .

ثم يعطى شاعرنا نصائح عن استعمال السفن والسفر فى البحار . ويشير إلى هجرة أبيه بحراً من كومى الأيولية لا هرباً من الغنى ولكن فراراً من الفقر واستقراب بالقرب من جبل هيليكون فى قرية بائسة هى أسكرا ، ذات الشتاء القارس ، والحر اللافح الرطب والتى لا يطيب هواؤها فى أى وقت . ويذكر الشاعر أنه هو نفسه غير خبير بالبحار وأنه أبحر مرة واحدة من أوليس Aulis التى مكثت فيها سفن الأخايين مدة طويلة بسبب العواصف الكثيرة قبل أن تتمكن من الإبحار إلى طروادة . وفى تلك المرة ذهب الشاعر إلى خالقيس ، إلى الألعاب التى أقيمت تكريماً لذكرى البطل أمفيداماس Amphidamas . ويفخر شاعرنا بأنه اشترك فى المباريات الشعرية وأنه حظى بالجائزة التى أهداها إلى ربات الفن فى هيليكون .

ويستمر هسيودوس فى نصائحه :

تزوج إذا اقتربت سنك من الثلاثين ، فهذه أفضل سن للزواج ، واختر زوجاً مضى على بلوغها أربع سنوات ، وابن بها فى الخامسة . تزوج بكراً لتستطيع تلقينها الأخلاق القويمة . ولتكن ممن يقمن بالقرب منك . أحسن الاختيار وإلا أصبح زواجك سخرية جيرانك . فلن يحظى الإنسان بشىء أثمن من الزوجة الطيبة ، ولن يحظى بشىء أسوأ من الزوجة الشريرة ، تلك الزوج الجشعة التى تشوى قرينها دون نار وتدفع به دفعاً إلى الشيخوخة المبكرة .

احذر غضب الآلهة . ولا تسو بين صديقك وأخيك . فان فعلت . فلا تبدأه بالأذى . ولكن إن مسك منه أذى أولا ، فتذكر أن تصب عليه ضعف ما أنزل بك . فان أناب وطلب العفو فاصفح عنه . فلا خير فى أن يكون للمرء صديق جديد كل يوم .

لا تكن جواداً ، ولا تكن شحيحاً . ولا تصادق الأشرار أو تسب الأخيار . ولا تعيرن أحد بفقره ، فالآلهة تبسط الرزق وتقدر أحسن ذخر المرء لسانه عف . وأعظم كنز لديه لسان لا ينطق عن الهوى . لا تكن فظاً فى وليمة عامة ، اشترك فيها خلق كثير ، فالاستمتاع فيها أعظم ، والنفقة أقل .

لا تقرب قرباناً قبل الفجر إلى زوس أو إلى بقية الآلهة قبل أن تغسل يديك ، وإلا لم ينصتوا إلى دعائك .

ثم يمضى هسيودوس فى نصائحه ، فيحذر مثلا من إنجاب أطفال بعد الرجوع من الجنائز ، كما يمنع الخوض فى الماء الجارى قبل غسل الأيدى والتوجه إلى الآلهة بالدعاء ، كما يحذر من تقليم الأظافر فى أيام العيد ، أو وضع الملعقة على إناء مزج به النبيذ فى حفل ما ، فان ذلك يجلب الحظ السيء ، كما يحذر من جلوس الصبى إذا بلغ الثانية عشرة على المقابر وما يشبهها ، فهذا يفقده رجولته ؛ كما يمنع من وضع الطفل إذا بلغ اثنى عشر شهراً على هذه الأشياء لنفس السبب .

٧٦٥ — ٩٢٨ :

ثم يفيض هسيودوس فى ذكر الأيام السعيدة وأيام النحس متبعاً فى ذلك الشهور القمرية . ومعرفة هذه

الأيام السعيدة والتحرر من الأيام المشئومة أمر ضرورى لمن يريد أن يوفق فى عمله فلا يقوم فى يوم نحس بعمل يرجو من ورائه خيراً . ولما كان الدين أساس المجتمع وكانت هذه الخزعبلات قد ارتبطت بالدين ، كان لمعرفة هذه الأيام أهمية كبرى . وقد اشتهر الفراعنة بملاحظة هذه الأيام . وأقدم تقويم فرعونى وصل إلينا فى بردية ساليه يحوى قائمة بهذه الأيام السعيدة والمشئومة ، وقد ميز كل منها بعلامة خاصة . ولا زلنا نرزح تحت عبء أمثال هذه الخرافات ، ولا زالت التقاويم الحديثة تحمل آثار الماضى السحيق .

يشتم من النصائح التى يعطيها هسيودوس رائحة القرية والبعد عن المدن وقواعده الأخلاقية محدودة ضيقة ليس بها متسع للرحمة والعطف عن الضعيف والفقير . وهو يكره الاعتداء ، ولكنه يحبذ الإسراف فى رد الاعتداء ، ولا يؤمن كما آمن سقراط بأن رد الاعتداء اعتداء . ولكنه لا يفتأ يلح فى إثبات وجود عدل إلهى . فزوس يرى ويسمع وقد بث العيون والأرصاد . والعدالة وإن سارت ببطء فانها تحرز قصب السبق فى النهاية . وقد اصطبغت نظرته بالتشاؤم ، وهذا يؤيد وقوع الشاعر تحت ظلم رهيب . أما نظرة هسيودوس ومدرسته إلى النساء فأشد قسوة مما نجد فى الشعر الحماسى . فالمرأة فى نظره أساس الشر . وبالجملة فكل شىء فى عصر هسيودوس سىء ويسير إلى أسوأ . أما العلاج الذى يرتئيه فهو أن يقوم كل امرئ بواجبه وأن يمتنع القضاة والحكام عن التهام الرشوة ليسود العدل ويحظى الناس برضاء الآلهة ، وبذا يعم الخير وينتشر السلام . فهو لا يدعو إلى تغيير الأوضاع القائمة وإنما إلى العودة إلى الفضائل القديمة .

فى أى عصر عاش هسيودوس ؟ لسنا ندرى بالدقة . لقد جعله هيردوت معاصراً لهوميروس ، وقدر أن الشاعرين عاشا قبل عصره بأربعة قرون أعنى حوالى سنة ٨٥٠ ق . م . ولكن إن صدق هذا التاريخ على هسيودوس فهو لا يصدق على هوميروس الذى عاش قبل ذلك بقرن على الأقل . وقد أخذ هسيودوس الشىء الكثير من أشعار هوميروس . وجدير بالذكر أن هسيودوس ذكر أن النجم المعروف بالسماك Arcturus يطلع بعد ستين يوماً من الاعتدال الشتوى ، وهذا إن صدق ، يحدد بالدقة تاريخ نظم قصيدة الأعمال والأيام ويرجعها إلى حوالى سنة ٨٥٠ ق . م ، وهو نفس التاريخ الذى حدده هيرودوت .

وقد دب الشك إلى كثير مما ذكر هسيودوس فى قصائده ، ولا سيما إشتراكه فى مباراة شعرية وفوزه بالجائزة الأولى فى الألعاب التى أقيمت تكريماً لذكرى البطل أمفيداماس . وقد رفض بلوتارك هذا الزعم وعد الأبيات التى ورد فيها منحولة لأن أمفيداماس الذى إشترك فى الحرب الليلانتينيـــة Lelantine عاش فى عصر متأخر . ومن المحال أن يكون هسيودوس اشترك فى مباراة أقيمت له بعد موته . ولكن يمكن أن نفترض أن هسيودوس اشترك فى مباراة أقيمت لملك آخر يحمل نفس الاسم أقدم بكثير من ذاك الذى يشير إليه بلوتارك .

وقد اعتبر بعض العلماء أن برسيس شخصية وهمية ، ولكن ليس هناك من سبب معقول يدعو الشاعر إلى ابتداع اسم خيالى ليوجه إليه نصائحه ولديه أسماء كثيرة فى الأساطير اليونانية يمكنه اختيار ما يشاء منها . أما ما ذكر هسيودوس من أصله الأيولى فقد أشرنا إلى ورود ألفاظ أيولية فى أشعار هسيودوس لم يسبق استعمالها فى أشعار سابقة عن عصر هسيودوس .

أسلوب هسيودوس

يغلب على لغة هسيودوس السهولة ، سهولة الأفكار وسهولة الألفاظ ، وهو يشبه فى ذلك هوميروس . أما ما نجد الآن فى أشعارهما من صعوبة فمرد ذلك إلى اندثار اللهجة الأيولية التى استخدمها شعراء الملاحم ،

كما استخدمها هسيودوس ومدرسته . ويكثر فى لغة هسيودوس استعمال الاستعارات شأنه فى ذلك شأن القرويين ، فهو يسمى اليد ذات الخمس أصابع ويشير إلى اللص بمن ينام نهاراً . وله ولع شديد بالحكم والأمثال وتعبيراته موجزة صالحة للحفظ والاستذكار . ولكن عيب هسيودوس أن أبياته كحبات فى عقد لا صلة بينها .

أثر هسيودوس

كان لهسيودوس أثر كبير جداً على من أتى بعده ، ولا سيما من كتب فى الدين أو فى الزراعة . وقد أخذ عنه فرجيل الشيء الكثير . ولكن فرجيل تمكن من أن يجعل من زراعياته « أحسن شعر لأعظم شاعر » بأن نفث فى شعره روحاً أحيت موات الأرض وكست حيواناته وطيوره وحشراته شخصية المخلوقات التى تحس وتشعر وتتألم وتفكر . ولا يختلف تصوير فرجيل لمملكة النحل عن تصوير شوقى لها فى قصيدة :

مملكـــة مـــديره بامـــرأة مشمرة

بل ربما كان فرجيل أشد إغراقاً ومبالغة . وبهذه الوسيلة أنقذ فرجيل زراعياته من الحكم العام الذى أصدره أرسطو ضد الشعر التعليمى وقصائد هسيودوس بأنها نظم لا شعر .

